مشكلة عدم الزواج

هل لها وجود فى مصر ؟

يخشى دعاة الاصلاح أن نكون قد واجهنا من المشكلات الاجتماعية ما يسمى مشكلة عدم الزواج ، وهؤلاء الدعاة يستعملون من الحكمة ما يسمى اتقاء الشر قبل وقوعه ، فان دلائل هذه المشكلة لا تكاد تتوفر بين أيديهم ، أو هى لم تتوفر على نحو يجعل خطر المشكلة قائما الى جانبها .

والواقع أننا لم نصل بالانصراف عن الزواج الى الحد الذى يصح أن يقال معه إننا أمة مصابة من الأمراض الاجتماعية بهذا المرض الوبيل ، واذا شئنا أن نختبر هذا الواقع لنرى مكان الحقيقة فى صوره الثابتة فليس أيسر من أن نستحضر فى أذهاننا هذه الصور :

فأولا — لا توجد فى بلاد الريف المصرى مشكلة عدم الزواج ولا يكاد أهلها يعرفونها .

وثانيا — لا توجد هـذه المشكلة بين الطبقات الدنيا من عامة اهل المدن ولا بين الكثرة الغالبة من الطبقات الوسطى كذلك .

وثالثا — تبدو هذه المشكلة متدرجة فى طريق الشيوع بين خاصة أهل المدن ممن غرهم الانتساب الى الطبقة العليا ، كما تبدو قريبة من الشمول بين أصحاب الأطماع الذليلة من الشبان وكذلك بين أولئك الذين توهموا أن الصيد من الطريق يغنيهم عن الحلال الطيب فى البيت الشريف ، والآخرين الذين عادت بهم مشاهد الأبصار ومسموعات الآذان الى سوء الظن بأكثر من يرون من بنات حواء .

إذن لا مشكلة عندنا لعدم الزواج ، ولكنها ظاهرة من ظواهر السوء حصرها حسن الظن بين حدين لا يبلغ البعد بينهما مد البصر ، ولكن يبقى بعد الاطمئنان على سلامة كياننا الاجتماعى من هذا الداء أن نعرف ما هى أسباب هذه الظاهرة المحصورة بين حديها .

تختلف الأسباب التى صرفت الشبان من الأصناف الثلاثة عن الزواج باختلاف أهدافهم منه ، فبعضهم يريدون أن يجدوا فى الزواج أقرب طريق إلى الفوز بمستقبل يؤديهم الى الغنى والجاه فى غمضة عين ، وهم لا يرون هذه الطريقة الا أن يصهروا إلى قوم لهم من الغنى الواسع أو السلطان المطاع جاه عريض ونفوذ أمضى من القضاء ، وهم فى ذلك لا يلتفتون الى ما يوجبه الشرع والعرف من التكافؤ بين الأزواج فى مختلف مراتب الحياة ، فان أحدهم لا يعنيه أن تكون الزوجة التى يحلم بها و يقضى العمر فى انتظارها أعلى منه نسبا أو مالا أو أن يكون أهلها أرفع من أهله منزلة وأوسع منهم جاها ، بل لا يعنيه من صدق ما يحسه فى نفسه كلما حدثته نفسه حديث الطمع فى مثل هذه الزوجة أنه عائد لا محالة بخيبة الأمل حين لا هى ترضى ولا أهلها يرضون .

وبعضهم لا يريدون أن يفهموا الزواج إلا على أنه وسيلة الاستمتاع بين رجل وامرأة ، كما لا يريدون أن يفهموا البيت والولد وحياة الأسرة إلا على أنها تكاليف مضنية ومشاغل ملهية وقيود تردهم عن سعة الفساد الى ضيق الاستقامة أو إلى ضيق المطالبة بالاستقامة .

و بعضهم يخافون من عواقب الزواج ما يخافه المجترئ على إرادة الله من الغيب المحجوب ، ويهابون من تكاليف العيش مع الزوجة والأولاد ما يهابه اليائس من رحمة الله ومن رزقه ، أو ما يهابه الجبان الذى يعرف فى نفسه قلة الاقدام وعدم الاحتمال .

وهؤلاء جميعا يحملون من أسباب العلة ما تحمله الأخريات فى الجانب الآخر .

فلولا أن كل صياد يجد صيده بسهولة لما وجدنا شابا يغنيه صيد الطريق فى الحدائق العامة وعلى أبواب المتاجر أو فى رحاب المسارح والملاهى أو من الشرفات والمنافذ فى بيوت الحيران عن الزوجة التى لا تحل له الا بكلمة الله ولا ينالها الا مع العزة والشرف .

ولولا ما تراه العيون فى وضح النهار وتحت جنح الليل ، وما تسمعه الاذان من أحاديث الهوى واللعب ، وما تسجله دفاتر التحقيق فى دور البوليس والقضاء من وقائع الفتنة ومزالق السقوط ، وما لا تزال صحف الأخبار مستفيضة به حتى لا ينتهى فى صباح ولا يفرغ فى مساء ، لولا كل ذلك لما انقبض شاب حريص على شرفه عن الزواج خشية أن يقع فيما يحذره .

ولولا ما يغرى الطامعين من قيام الزواج بين المغامرات من بنات الأسر الكبيرة ومن يتخذنهم أزواجا بسنة الطيش والانسياب لا بسنة الشرف والعقل ، وقد يكون أحدهم خادما أو سائق مركبة أو أعلى من ذلك قليلا أو كثيرا — لما تجاوز طامع حده ولا رأينا أحدا يجعل الزواج وسيلة ربح و بضاعة سوق ومركبا تشحن فيه هذه البضاعة لا غاية لعصمة النفس وطيب الحياة .

ولكن فريقا آخر غير هؤلاء يفهمون الزواج كما يجب أن يفهم و يطلبون منه ما يجب أن يتوفرا فيه ، ثم هم لا يأتمنون الزواج فى هذه الأيام على شيء من ذلك ، لأنهم يخافون على أنفسهم مصارع الهم إذا صبروا عليه والصبر فوق طاقتهم كما يخافون على أنفسهم خيبة الأمل وسوء التجربة اذا لم يستطيعوا هذا الصبر، وأولئك هم الذين صدقت معرفتهم للحياة بما توافر لهم من علم وفهم ولم تخنهم سلامة الادراك لما تتعرض له الحياة الزوجية من تفكك وانحلال، فهم كلما طلبوا فى الزوجة حسن الفهم للحياة وصدق الأمانة للزوج أجابتهم ظواهر الحال أنهم قد يجدون الأمانة ولا يجدون الفهم وقد يجدون الفهم ولا يجدون الأمانة ، و إلى هنا يقف بهم الشك دون اليقين ثم لا ينتهون من هذا الموقف الا الى عدم الزواج .

وهذه الوجوه التى بسطناها للمسألة جديرة أن تتناولها يد الاصلاح بما يضمن علاجها قبل أن يتراخى بها الزمن فتتسع وتفشو ، ثم تفاجأ منها بما يصح يومئذ أن يسمى مشكلة عدم الزواج، أما هذا العلاج فقد اتخذت وزارة الشؤون الاجتماعية أسبابه ، وستعالج كل وجه بدوائه الخاص، ولكنها مع ذلك ترجو كل أحد أن لا ينسى أن أنفع العلاج ما يجئ من ناحية المريض ، فكل ما فى يد الطبيب أن يعطى الدواء بعد معرفة الداء ، أما قوة الاحتمال حتى يفعل الدواء فعله ، وأما الامتناع عما يفسد العلاج و يضاعف العلة ، فذلك شأن المريض نفسه ، وهو الشأن الأكبر فى طلب السلامة ورجاء العافية .